# قاعدة
# الأسماء الحسنى

لم يكن «الغزالي» (٤٥٠- ٥٠٥ هـ) ليترك بصمات عقله الكبير، وآثار روحه العظيم على جيله في عصره، وعلى أجيال العصور المتلاحقة بعد عصره حتى يومنا هذا، لو لم يقم بتلك الرحلة المثيرة، والمغامرة الروحية الخطرة – التي حدّثنا عنها في كتبه – حيث نشر أشرعة روحه وأقلع مبحراً على متن التجربة والمعاناة، من الحافّات الاولىٰ للمعرفة، ومن شواطئ الايمان الضحضاحة، الى الأمداء الايمانية الشاسعة البُعد، والمعارف الالهية العميقة الغَور، ولو لم يكن يمتلك روحاً قوياً طويلَ النَفَس قادراً على مطاولة اللجج الايمانية وسبر أغوارها، والغوص فيها، والانغمار التّام بمعارفها وأسرارها.

ولا نكشف سراً حين نقرر بأنّ المعارف الأسلامية عموماً منذ عصره حتى يوم الناس هذا متأثرة – قليلاً أو كثيراً – بالتيارات الفكرية والروحية لهذا المفكر العملاق الذي ترك ظلال روحه وعقله وقلبه على كل ما كُتِبَ في الفكر الاسلامي من بعده.

و«النورسي» (١٢٩٤ – ١٣٧٩هـ) يؤكد هذه الحقيقة في بعض رسائله، ويبين بجلاء أنه مَدين للغزالي بمنابع معارفه الاولىٰ، وأصول منهجه في الكتابة والتفكير، ويوضّح أنه سلك سلوكه، وسار في الطريق الوسط بين «العقل والقلب» التي سار فيها الغزالي من قبله فيما تناوله من شؤون الفكر والايمان.

ولئن كان «النورسي» قد أبحر الى الشواطى الايمانية الشاسعة البُعد التي أبحر اليها «الغزالي» وغاص الى أعماق المعارف الالهية التي غاص فيها، ونَهَل من المنهل نفسه، وشرب من المشرب عينه، كما يشير الى ذلك في رسائله، إلاّ أننا ينبغي ألاّ نغفل في معرض المقارنة بين الرجلين عن الفاصل الزمني الذي يفصل بينهما؛ فهناك ما يزيد على ثمانية قرون مليئة بالأحداث الضخام التي أسهمت في قيادة الكثير من مسارات التيارات الفكرية والروحية نحو انحرافات خطيرة، وتقهقرت بالعقل المومن نحو متاهات رهيبة من الريب والشكوك، فنجمت – من جراء ذلك – معضلات جديدة، وظهرت مشكلات عانىٰ منها الايمان اشدّ المعاناة، وقاسىٰ منها المؤمنون أشدّ المقاساة، وقد حملها تيارُ هذه القرون الثمانية والقىٰ بثقلها في قعر العصرالذي كُتِبَ علىَ «النورسي» أن يواجهه، وأن يقبل تحدّياته، وهو عصرٌ طغت فيه المادية العمياء الىٰ أقصىٰ حدود الطغيان، واستشرت الشكوك، وأزريَ بالايمان، وأصاب الروحَ الخواءُ، وغدا «الايمان» مسألةً قديمةً لا تثير الا إهتمام القلة من الناس، فتتابعت الخطوب، وأطبق على الشعوب ليلٌ دامس الظلمات يريد اطفاء آخر ذبالة مرتعشة من مصباح الايمان، ثم أقبلت الفتن كقِطَعِ الليل المظلم، يأخذ بعضُها برقاب بعض، حتى ان الانسان ليصبح مؤمناً ويُمسي كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً كما تنبأ بذلك رسولُنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، وهذا كله ادىٰ الى أن يشك الانسان في وجوده، أو بالأحرى في مغزى هذا الوجود ومعناه والقصد منه، وغدا عبثياً يرىٰ العبثية تسربل الوجود بأسره، وتغطي الأكوان جميعها، وان الانسان المسكين ليس اكثر من شئٍ مُلقىٰ في ركن من أركان الوجود، ينوح على

نفسه، ويشكو الغربة والضياع ولا يعرف من أين أتىٰ؟ وإلىٰ أين يمضي؟ وكيف ولماذا؟

## النورسي وتحديات العصر:

وكان لا بد لهذه المعضلات الروحية الجديدة التي أتى بها العصر الحديث من منهج جديد وجرئ يواجه به «النورسي» هذه المعضلات ويعمل على حلّها، ويعين الانسانَ علىٰ التغلب عليها، والخروج منها سالماً معافىٰ.

وقد لاحظ الدارسون للنورسي أن ثمةَ انسانين هما دائماً موضع نظره، ومحطّ اهتماماته ودراساته في كل رسائله ومؤلفاته، يحاورهما ويطارحهما الرأي والفكر، ويناقش مشاكلهما وقضاياهما، ويعالج ما يشكوان منه من أمراض الفكر والروح، ويتوجّه اليهما بالنداء، ويقصدهما بالخطاب، وهذان الانسانان النموذجان هما:

## الانسان الاول:

انسان ضال تائه في دروب الأفكار والمعتقدات، وقد احتجب عن الحق بستائر صفيقة من التصورات والأوهام، واحتجب الحقُ عنه وراء أبخرةٍ من ضباب الحضارات، وضلال المدنيات، فهو لا يدري أين الحق، وأيُّ السبل تفضي اليه، وتُوقِفُ عنده. فمهة «النورسي» إزاءه أن يمدّ اليه يده، ويعاونه في كشف الحجب، وإزاحة الستر، وتجلية الحق، وإبرازه في إطار من اليقين الذي لا تشوبه شائبة شك، أو يخالطه غَبَشُ وَهْمٍ، فاذا هو موقوف علىٰ محجّة الايمان، وصدق الاعتقاد، وصحة اليقين.

**أما الانسان الثاني فهو:**

إنسان مؤمن، ولكنه مهزوز الايمان، هشّ الاعتقاد، ضعيف اليقين، تُساوره الشكوك، وتقلقه الوساوس والظنون، ينقصه وضوح الرؤية، وشفافية النظر، وسكينة الاطمئنان، متردّد في تحمل مسؤوليات إيمانه، وتكاليف تصديقه. فمهمة «النورسي» هنا أن يدلفَ الى عالم هذا الانسان بهدوء، ويسارع في ترميم ما تصدّع من بنيان إيمانه، ويقيم ما تهدّم من أركان يقينه، ويرفو ما خَلِقَ من ثوب اعتقاده، ويقوي ما تزعزع من أسس تصديقه، ويجلي ما غام عليه من مسائله، وينير ما أظلم عليه من دروبه، لينتفض – بعد ذلك – منسلاً من قوالب نفسه بين ركامات الروح وانهيارات النفس، معافى الايمان، راسخ الاعتقاد، ثابت اليقين، موصول القلب بالله، يقظ الوجدان لا يغفل.

واستحضاره لهذين النموذجين من البشر في ذهنه عندما يشرع في الكتابة، منهج التزمة «النورسي» في رسائله جميعاً، ولم يَحِد عنه أبداً، ومع ذلك فان هذا المنهج ليس من ابتداع «النورسي» أو ابتكاراته، وإنما هو في الأصل – منهجٌ قرآني اعتمده القرآن الكريم في معالجاته لقضايا الانسان والايمان، وقد تأثر به «النورسي» غاية التأثر، وأشربتْهُ روحُه، ومازج شغاف قلبه، وخالط دم وجدانه من كثرة مداومته النظر في القرآن، والجلوس متأدباً بين يديه، والتلقي عنه مباشرة، فلا غروَ إذا ما ترك القرآنُ الكريم طابعَه الخاص على أسلوب «النورسي» ووضع عليه بصماته، وهداه لأساليبه وطرائقه في مخاطبة النماذج البشرية نفسها التي خاطبها القرآن، وتوجّه اليها بالنداء.

فتأرجُح الانسان بين الايمان والكفر، وتذبذبه بين الشك واليقين، وانتقال المؤمن بين درجات الايمان صعوداً وهبوطاً، وزيادةً و نقصاناً، وكذلك شكوك الكافر – في حال صَحْوه – بكفره حتى ليكاد يتخطىٰ عتبة الكفر الىٰ الايمان مرةً، وترديّه بكفره الى الدركات التي لا يرجىٰ معها إرتقاء وصعود مرةً أخرى. هذا التأرجح بين النقائض، والتذبذب الحادّ بين الأضداد، هو المأساة المحزنة التي عانت منها البشرية عبر أجيالها منذ الحقب الاولى من تاريخها حتى هذا اليوم، وهي المعضلة التي استأثرتْ باهتمام الكتب المنزلة، ولاسيما القرآن الكريم، وهي تستأثر اليوم باهتمام تلامذة القرآن وخَدَمه المخلصين الذين ينهجون نهجه، ويقتفون أثره، ومنهم «النورسي» رحمه الله.

فالقرآن الكريم «كتاب إيمان» بالأساس، دعا اليه، وعالج قضاياه، ورسم طريقه، وهدىٰ اليه، وناقش المنحرفين عنه والضالين عن طريقه، إلاّ انه مع ذلك تناول بالاستهجان كفر الكافرين، وتعرّض لباطل تصوراتهم، وبيّن خطأ معتقداتهم، وكرّس الكثير من آياته وسُوَره للرد عليهم، وتفنيد آرائهم، والتنديد بباطلهم، وبالتالي دعوتهم للخروج من الظلمات الى النور، والهرب من ضيق الكفر الى سعة الايمان، والانفلات من عبادة الهوى الىٰ عبادة الله. فكما توجّه القرآن بخطابه للمؤمنين توجّه أيضاً بندائه للكافرين، طالباً من الأولين الثبات علىٰ الايمان ومحذراً إياهم من الانزلاق الى مهاوي الشيطان، وداعياً الآخرين للتحرر من ربقة الكفر والدخول في حظيرة الايمان.

واننا لنلمس آثار المنهج القرآني جلياً واضحاً في رسائل «النورسي» فهو – بالأساس – رجل ايمان، انصبتْ اهتماماتُه علىٰ القضايا الايمانية الكبرى

التي كثيراً ما ينفُذ منها اعداء، الايمان، ليشككوا في صحتها او صدق وقوعها كالآخرة والحشر والنشر والجنة والنار، وغيرها من الغيبيات التي هي من اسس الايمان وأصوله، واستطاع أن يثبت بالدليل العقلي القاطع صحة هذه المسائل ومصداقيتها و حتمية وقوعها كما تقول الأديان، وقد نجح في البرهنة علىٰ أن سبيل الانسان للايمان بهده الغيبيات هو العقل أيضاً إذا أُحسِنَ استخدام منطقه، وأن الغيبيات ليست – كما كان يقال او يُظَنُّ – من الامور التي تقع ما وراء ساحة العقل، وان الايمان بها لا يمكن ان يكون إيماناً عقلياً – أي يستند الى العقل – وإنما هو إيمان قلبي نؤمن بها كما جاءت دون أن نقحم العقل في التدليل على صحة وجودها ووقوعها!

فمع هذا الجهد الكبير الذي قدّمه الرجل في ترسيخ أسس الايمان علىٰ اساس عقلي، وتمتين أصوله، وتعزيز قواعده، لم ينس الإلحاد، ولم يغفل الكفر، بل توجّه مباشرةً الى اصول «الكفر والإلحاد» و قواعده وجذوره، و ناقشها بهدوء في العديد من رسائله مبيناً وهنَها وضَعفها ووهم التصورات التي تُفضي اليها، وخطأ المنطق الذي يبنىٰ عليه، وخَلُص في خاتمة المطاف الى نتيجة مفادها: ان «الكفر والإلحاد» نغم ناشز في موسيقىٰ الكون، وشقٌّ مخيف في الصرح العقلي للوجود، وانحراف رهيب في زاوية بناء العالم، وشرخٌ دائم الصديد في جمجمة البشرية، وجرح نازف في القلب الانساني اللهيف.

ولعلّ بحوثه في «الاسماء الإلهية الحسنى» هي أعظم ما يمكن أن يقدّمه مفكرٌ للانسان الحائر المتسائل عن لغز الخليقة، وسر الوجود، و مغزىٰ مجيء الانسان الىٰ هذا العالم.

## القوة العظمى للاسماء الالهية الحسنىٰ:

فالاسماء الالهية الحسنىٰ، لا ينبغي لأحد – يريد استكمال ايمانه بها – استحضارها في الذهن مجردةً عن فعلها وأثرها في الحياة والوجود، أو يرددها لسانُه من غير تأملٍ في تجلياتها في سماء نفسه، وفي الكائنات والموجودات من حوله، كما يريد أن يعلّمنا «النورسي».

فلا ترتقي حياةُ المؤمن الايمانية، ولا تستكمل هذه الحياة العمق والسَعَة، ولا تنزه أو تشرُف إلاّ إذا لازم المؤمن «الاسماء الالهية» وانجذب اليها، والتحم بها، وغاص في أنوارها، وعاش حياته اليومية بمعانيها وموحياتها، وعرف يقيناً أن الاسماء الالهية لها النفاذ الواسع والعميق في الحياة والوجود، وهي التي تمنح الموجودات سماتها المميزة، وتعيّن معانيها المحددة، وترسم أغراض وجودها وهدف حياتها، وتخط دائرة نشاطاتها، وتؤشر معالم علاقاتها بعضها بالبعض الآخر، وتقدّر درجة تأثيرها في الأشياء، وتأثرها بها.

فاسم الجلالة «الله» سبحانه وتعالى، وأسماؤه الحسنى الاخرى – سواء المصادر منها أو الصفات – إنما هي منبع الحياة، وأصل الوجود،و مفاتيحٍ الأكوان والعوالم، ومصادر المعارف والعلوم والفنون، وأساس كل معنى طاهر شريف، وجذر كل صفة جميلة منزّهة عن النقائص والعيوب.

فما من علمٍ أو معرفةٍ أو معنىً سامٍ أو صفة جميلة على هذه الأرض إلاّ وتستمد حياتها، وتنال قوت بقائها من واحد من هذه الاسماء المقدسة الطاهرة، أو من جملة منها.

## علم الاسماء:

ومن هذا السر اللطيف كان أعظم ما كُرّم به «آدم» عيله السلام، أبو البشر – يومَ أراد له الله الهبوط الىٰ الأرض ومواجهة العالم والتعايش معه – هو تعلّمه «علم الاسماء» بتعليم الله له، حيث قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ **وعلَّمَ آدمَ الاسماء كلها** . . ﴾.

فعلمُ الاسماء هو كنز «آدم» عليه السلام الذي خَلَفَه لأبنائه من بعده، يتوارثونه ويتناولون منه على قدر ما تحتمله عقولُهم، وتقدر عليه نفوسُهم عبرَ الدهور والازمان وهو كنز عظيم لا تنفد مصادرُه، ولا ينضب معينُه حتى لو عكفت علىٰ الاخذ منه البشريةُ قاطبةً من أول آدمي على وجه الارض حتى قيام الساعة، لأنه يستمد من بحر الحياة الواسع العميق المتجدد الذي يشع بأنواره وفاعلياته الدائمة، وطاقاته الأبدية، وهذا البحر هو بحر «الأسماء الالهية الحسنىٰ» التي كُلُّ ما في الوجود إنما هو أثر من أثار تجلياتها ومؤثراتها.

فالافعال الوجودية التي ينهض بها الوجود، وتتّقد بزيتها جذوةُ الحياة، وتستمد منها الخليقةُ دوام الحركة واستمرارية البقاء، إنما هي إنعكاسات أنوار هذه الاسماء، وانسكابات طاقاتها الحياتية في الأشياء.

فعلمُ «اسماء الله الحسنىٰ» هو علمُ خصبٌ غزيرٌ، مَوّارُ المعاني والأفكار، وبحر واسع عميق متلاطم في طاقاته وإشعاعاته وأنواره.

وهذا العلم السامي – رغم كل ما كُتبَ فيه حتى الآن – ما زال علماً بكراً بعيدَ المنال، يقف المؤمنون على شطئآنه ويكتفون بالنظر اليه من بعيد دون ان يكلفوا أنفسهم عناء السير اليه، والوصول الىٰ منابعه العالية فوق قمم المعارف جميعها.

فالحياة الايمانية اليومية التي يحياها عامة المؤمنين تقع – مع الأسف الشديد – على هامش هذا العلم وعلى بُعدٍ من مركز دائرته، وفي أسفل من قمة وجوده، وحتّى الجادُون من المؤمنين لا يتجاوز علمُهم بأسماء الله الحسنى ما تردّده شفاههم من هذه الاسماء في أورادهم دون الغوص الىٰ معانيها، أو استقراء تجلياتها في جوانب الكون وأرجاء الوجود والحياة، ولهذا ليس مما يثير الاستغراب أن تصبح هذه الحياة باردة خامدة مفتقرة الىٰ الحرارة والحماسة والتجدد والتألق الذي تمنحه الاسماء الالهية للمؤمنين إذا ما عاشوا في معانيها، وامتثلوا لموحياتها، وتخلّقوا بأخلاقها وصفاتها.

فأسماء الله الحسنىٰ، وتجلياتها في الموجودات، وانعكاساتها في مرايا الكائنات، وقيام هذه الكائنات بها، واستمداد ما يحفظ وجودها منها، واكتساب نورانياتها من أنوارها، والتماس الحياة من منابع حياتها، وانتساب المعارف والعلوم والفنون اليها، وتعلقها بأسرارها.. هو ما يريدنا «النورسي» ان نكون علىٰ علمٍ به ضمن مباحثه المهمة عن «اسماء الله الحسنى» وعن إشعاعاتها وتأثيراتها في الوجود والحياة. وهو لا ينفك يغرينا بالتعايش مع هذه الاسماء في شؤون الحياة التي نحياها والواقع الذي نعيشه.

وقد كتب «النورسي» ثلاثين ومئة رسالة أسماها «رسائل النور» تقصّى فيها آثار الأسماء الالهية الحسنى في الانسان والوجود والأكوان، و تلمّس منابعها في المعارف والعلوم والفنون، واستقرأ تجليات أنوارها علىٰ الاشياء والموجودات، وتتبّع أسرارها في الخلق والأيجاد، والموت والحياة، ووقع على أعاجيبها في الحشر والنشر والجنة والنار والرحمة والعذاب، وأثبت بما لايقبل أدنىٰ شك بأنَّ من وراء هذا كله إرادةً وهدفاً وغايةً، وعلماً

وحكمةً، وعدلاً وجمالاً وجلالاً، وأحدية لا تقبل نداً ولا شريكاً، وقدرةً مطلقةً لا يعجزها شئ، وقدَراً مرسوماً، وقضاءً مبروماً، وآجالاً محتومة، وخلوداً أبدياً – بعد الموت – في الجنة أو النار.

وهذه هي الأغراض والموضوعات نفسها التى دارت عليها وحولها آيات القرآن الكريم وسوره، ومن هنا فما جانب الصواب منْ وصف «رسائل النور» بأنها نوع جديد من التفسير للقرآن الكريم.

## الاسم الاعظم الجامع:

ويفرد «النورسي» للاسم الاعظم المتضمن لأسمائه تعالىٰ (القدوس، العدل، الحكم، الفرد، الحي، القيوم) مبحثاً خاصاً – وهى اللمعة الثلاثون – يتتبع فيه تجليات هذا الاسم، ويستقصي فاعليته وآثاره وسماته على كل موجود تنسّم أنسام هذا الاسم، ولامسه نفسٌ من أنفاسه.

فتجلّى الاسم الأعظم – «الحي» مثلاً – على الموجودات والتاثير فيها، أنهضها من رقدة العدم. وأزاح عنها أستار الغيوب، وأكسب كلاّ منها نوعاً من أنواع الحياة التي لا حصر لأنواعها وأشكالها و درجاتها، وألبس كُلّ موجود – بحسب مكانته المقدرة من الموجودات – ثوب الحياة المقدّر له، والمناسب لماهيته ومهمته في هذا الوجود، بحيث يستطيع – بهذه الحياة – ادراك الخالق – نوعاً من الأدراك – ويتوجه اليه بالحمد والتسبيح والشكر بدليل قوله تعالىٰ: ﴿**وإن من شئٍ إلاّ يُسبّحُ بحَمْدِه**﴾.

فلا عجب – وأمر الحياة ودرجاتها كذلك – إذا ما سبّح الحجرُ والمدر، والزهر والعشب والثمر، والنجم والشمس والقمر... وكل موجود آخر من الذرة المتناهية في الصغر الى الكون المتناهي في الكبر.

وإذا ما سلّم الانسان بهذه الحقيقة وعرف انّ الحياة في الموجودات أنواعٌ ودرجات وأنّ حياته ليست هي كل الحياة، وإنما هي نوع واحد من أنواعها وإن كانت أرقاها وأعمقها واشملها، استطاع عندئذٍ أن يدرك بسهولة ويسر بعض الأحداث والوقائع والمعجزات الغريبة التي وقعت للأنبياء والرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – بتجاوب بعض الكائنات والموجودات معهم وانعطافها اليهم وإطاعتها لأشارتهم، والشهادة لهم بالنبوة والرسالة. ولا سيما ما تواتر خبر وقوعه لسيدنا الرسول ﷺ.

والحياة في الكائن الحي ليست هي مجرد حياة – كما يقول «النورسي» – وإنما هي حياة يخامرها الجمال، ويمازجها اللطف، وتندرج فيها الرحمة، وتتخللها العناية، ويتظاهر فيها الإتقان ودقة الصنعة، وتنطوي على العلم والحكمة، وتشير الىٰ الإرادة، وتومئ الى القصد والمغزىٰ.. أي أن حياة «الكائن الحي» تتجلىٰ فيها جميع الاسماء الإلهية الحسنى وصفاتها الجمالية والجلالية.

وبعدُ: فمنْ أراد ان يعرف «النورسي» علىٰ حقيقته، و يكتشف أىّ مفكر هو! وما الأعماق الإيمانية التي وصل اليها وغاص فيها وعَبّ منها، وأية آفاقٍ من نور العقل والروح تسامى اليها، وكيف يفكر، وما خلفية أفكاره، وأيّ حسٍ ايماني مرهف يمتلك، وما سرُّ قوة فكره، وعملية قلمه!.. ومَنْ أرادَ أنْ يرىٰ «النورسي» بشجاعة روحه وبسالة قلبه، ورباطة جأشه، وهو يعالج مغاليق الإيمان، ويفتتح أقفال الوجود، ويضع يد الانسان علىٰ أسرار الخلق والايجاد! فليقرأ رسالته القيمة – اللمعة الثلاثين – ومبحثه الجريء المبتكر هذا..

وها أنذا اترك القارئ الكريم يدلف الىٰ عالم «النورسي» مباشرةً ويجرب العيش بعض الوقت في هذا العالم العجيب المشحون ببوارق روحه والتماعات ذهنه.

والله نسأل أن يرزقنا حُسن الفهم لما نقرأ، وحسن العمل بما نفهم وأن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع خالصاً لوجهه. آمين. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا الأمين..

* * *

obeikandl.com